بسم الله الرحمن الرحيم

إيضاح حول ما اتُّهمتُ به من كلام سيِّءٍ في إخواننا السلفيِّين

استمعت لشيء من صوتية لزهر سنيقرة والتي كانت في بيت أحد إخواننا في مدينة بني صاف، نال فيها من عرض إخوانه، وغَمَزَهم ولَمَزَهم وسخر منهم بطريقة بَعيدة عن أخلاق أهل العلم والفضل، وكان ممَّا ذَكر عنِّي أَنَّني إذا سُئلت عن المسائل المنهجية وصفتُ السائلين (بالبراهش).

وله مثل هذه الإطلاقات والأحكام الجائرة في إخوانه مثيلات، ويكفي ما ذكره عن الأخ مصطفى قالية أنَّه ذهب إلى أحد التُّجَّار وطلب منه أن يشتري له قطعة أرض ... إلى آخر تلك القصة التي كَذَّبها مَن اتُّهم بها، ولم يُقِم قائلُها عليها دليلاً ولا حجَّة ولا شاهدًا، ولا زال صاحبها في انتظار ذلك، ومَن كان كذلك فلا شكَّ أَنَّه لا يُقبل له قول ولا شهادة.

وأمَّا ما ذكره عنِّي مما سبق فأقول:

أولا: أين سمعتَ هذا منِّي، أفي صوتية بلغتك أم كتابة نظرت فيها، أم هو قول الشهود، فيُقال لك ما قد قاله مَن قبلي: أين هم شهودك؟ فإن لم يكن هذا ولا ذاك، فقولك مصنَّف في البهتان.

ثانيا: فرَضًا أَنَّني قلتُ ما ذكرتَ، فهلّا نظرتَ في أحوال القائل وكيف صدر عنه هذا المقول، لعلَّه كان في جهالة، وهذا لا يسلم منه أحد، ففي الصحيح عن المعرور بنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي

سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ».

فهذا أبو ذر رضي الله عنه عيَّر مسلمًا بأمِّه، فلامَه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، لكن انتفع بلومه ونصيحته، وعرف أنَّ هذا السِّباب الذي وقع مِن أمر الجاهلية، وصار يُعامل غيرَه ـ ولو كانوا من الغلمان والعبيد ـ معاملة رفيعة، ولم يخرجه عليه الصلاة والسلام ـ مِن دائرة أتباعه بهذا القول!

ثالثًا: مثلُ هذا الكلام الذي قد يقع من أيِّ مسلم، لا يدلُّ على أنَّه ليس على السُّنَّة، بل هو متعلقٌ بسوء خُلُقه وشدَّته، فمثله يُنصح ولا يُفضح، خاصَّة إن كان الذي وقع منه لا يعدو أن يكون حادثة عين لا مثيلات لها إن وقعت؟!، وأتحدَّاك أيُّها الشيخ أنَّ تثبت هذا الكلام الذي صدر منِّي ولو مرَّة واحدة، كيف بمرات، وكيف بأنَّه خُلُق يَعرفني به الناس!!

أما قرأتَ في تراجم بعض المحدِّثين كالأعمش وغيره ممَّن كان في أخلاقهم زَعَارَّة وشدَّة، ولم يخرجهم النُّقَّاد عن السُّنَّة ـ ولا أدَّعي أنَّني منهم ـ لكن حسبك اتِّباع سبيلهم في نقد الرِّجال.

ثم أخلاق النَّاس تختلف، فقد يقول القائل قولاً حال الغضب، ويجري على لسانه من السبِّ والشتم ما لو سُئل عنه بعد سكون غضبه لقال: لم أقصد ذلك، كما قال المعلمي في التنكيل (2/ 53).

وقال الإمام ابن عبد البر: «... وقد كان بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلَّة العلماء عند الغضب كلامٌ هو أكثر من هذا، **ولكن أهل الفهم والعلم والمَيْز لا يلتفتون**

إلى ذلك؛ لأنَّهم بشرٌ يغضبون ويرضون، والقول في الرِّضا غير القول في الغضب، ولقد أحسن القائل: ❋لا يُعرف الحلم إلاَّ ساعة الغضب❋». [جامع بيان العلم 2/ 190].

وقال ابن دقيق العيد: «إنَّ الفلتات مِن الأنفس لا يُدَّعى العصمة منها؛ فإنَّه ربَّما حدث غضبٌ لِمَن هو من أهل التَّقوى، فبدرت منه بادرة لفظٍ». [الاقتراح] (ص 57).

رابعًا: إن صدر هذا الكلام فقد يكون له أسباب وأحوال، ولذلك لا يُجعل سببا في الطعن في قائله، كيف ولم يقع، بل هو مجرَّد بهتان.

لذلك ذكر علماء الجرح والتعديل أنَّه لا يَتكلَّم في الرواة إلا مَن عرف أحوالهم ومقاصدَهم، وللإمام المعلمي اليماني كلام يُمكن تطبيق بعضه على ما نحن فيه من كلامنا في بعض الرجال، حيث: «ليس نقدُ الرُّواةِ بالأمر الهيِّنِ؛ فإنَّ النَّاقدَ لا بدَّ أن يكون واسعَ الاطِّلاع على الأخبار المرويَّةِ، **عارفًا بأحوال الرُّواةِ** السَّابقين وطرقِ الرِّوايةِ، **خبيرًا بعوائد الرُّواةِ ومقاصدِهم وأغراضِهم، وبالأسباب الدَّاعيةِ إلى التَّساهلِ والكذبِ، والمُوقِعَةِ في الخطأ والغلَط**، ثمَّ يحتاجُ إلى أن يعرِفَ أحوالَ الرَّاوي متى وُلِدَ؟ وبأيِّ بلدٍ؟ وكيف هو في الدِّينِ والأمانةِ والعقلِ والمروءةِ والتَّحفُّظِ؟ ومتى شَرَع في الطَّلبِ؟ ومتى سَمِع؟ وكيف سمع؟ ومع مَنْ سمع؟ وكيف كتابُه؟ ثمَّ يعرفُ أحوالَ الشُّيوخ الَّذين يُحدِّثُ عنهم وبلدانَهم ووفياتِهم وأوقاتَ تحديثهم وعادَتَهم في التَّحديث، ثمَّ يعرفُ مروِيَّاتِ النَّاسِ عنهم ويَعرِضُ عليها مرويَّاتِ هذا الرَّاوي ويعتبِرُها بها، إلى غير ذلك ممَّا يَطولُ شرحُه، **ويكونُ مع ذلك مُتيقِّظًا، مُرهَفَ الفَهمِ، دَقِيقَ الفِطنة، مالكًا لنفسِه، لا يَستَميله الهوى ولا يَستفزُّه الغضبُ، ولا يَستخِفُّه بادرُ ظنٍّ حتَّى يستوفِيَ النَّظرَ ويبلغ المقَرَّ، ثم يُحسنُ التَّطبيقَ في حُكمِه فلا يجاوِزُ ولا يُقصِّرُ، وهذه المرتبةُ بعيدةُ المرام، عزيزةُ المنال، لم يبلُغْها**

إلَّا الأفذاذُ» [«مقدِّمة الجرح والتَّعديل» (1/ ب ـ ج)].

ولا أظنُّك من الأفذاذ لما وقع في كلامك من اللَّمز والغمز بغير حجة ولا برهان، وآخر ذلك اتِّهام الشيخ عمر الحاج مسعود بعدم الصدق، وهذه من الأوابد.

وعليه أقول: البعضُ مِن إخواننا اليوم ـ هداهم الله ـ لا يَعرفون من السَّلفية إلا الكلام في الأشخاص، ولا يهمُّه من دين الله لا عبادة ولا خلقًا ولا تعاملاً إلَّا القول في فلان وعلان، فيحضر الدَّرس والدروس وليس في فِكره إلا السُّؤال عن فلان من الناس، لا لشيء إلَّا للتفكُّه به في المجالس أو السَّعي في النميمة والغيبة ونحو ذلك.

فأمثال هؤلاء قد يُؤدَّبون ويُنهرون، لكن يُصبح فاعلُ ذلك مميَّزًا لأنَّه ـ بزعمهم ـ يُنكر الكلام في الرِّجال ولا يجيب في الحال، فهذا لا شكَّ أنَّه مِن سوء الفهم، وقد يكون لسوء القصد نصيب.

خامسًا: لمَ ذكرتَ هذا الكلام ونسبتَه إلي في مجلس من المجالس العامَّة المسجَّل الذي يسمعه آلاف الناس؟ أمِن أجل أن تظهر للناس أنَّني لستُ على الجادة والطريق السويّة، أفبمثل هذا تُسقطون طلبة العلم؟! أم إنَّه مِن باب إيغار صدور الناس وتهييج عداوتهم لمن تُعادونهم وتخالفونهم؟! أم إنَّه تجميع وتفتيش عن كلِّ ما يُمكن أن يُجعل سببا للجرح، ولو مِن بعيد! وهذا ما تُنكرونه على مَن فتَّش في كلامكم وذكر الطامَّات من أعمالكم، «**ولا يؤمن أحدُكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»، «**وأن تأتي إلى الناس الذي تحب أن يؤتى إليك**»، لكن القاعدة السَّارية اليوم ـ للأسف ـ أنَّكم جاوزتم القناطر، وحالكم: اعملوا ما شئتم ما دُمُتم كبارا!! وعلى قول القائل:

إذا قالت حَذَامِ فصدِّقوها   فإنَّ القولَ ما قالت حذامِ

أمَّا غيرُكم فتبًّا وبُعدا لهم، وإيَّاكم أيُّها الشباب أن تسمعوا لأقوالهم، لأنَّهم يطرحون الشُّبَه، والشُّبه خَطَّافة ...

وفي ختام هذه الكلمة أقول: إنَّ ما يقع اليوم مِن كلامٍ في بعض الدعاة أو طلبة العلم المشهورين باتِّباعهم لمنهج السلف في علومهم وعقيدتهم وأخلاقهم ودعوتهم ـ وإن وقع لآحادهم تقصير ـ فكثير من هذا الكلام إمَّا كذب وبهتان أو سوء ظنٍّ وتهمين أو خطأ ونسيان.

ولذلك أذكِّر نفسي وغيري بما قاله الحافظ الذهبي رحمه الله فيمن تصدَّى للكلام في الناس، وأن نتأمَّل حقَّ التأمُّل كلَّ كلمة سَطَّرتْها أناملُه فهي خيرٌ وحقٌّ ونُصح وصدق، حيث قال: «والكلامُ في الرُّواة يَحتاجُ إلى وَرَعٍ تامّ، وبَراءةٍ مِن الهوى والمَيْل، وخِبرةٍ كاملةٍ بالحديثِ، وعِلَلِه، ورجالِه، ثم نحن نفتَقِرُ إلى تحرير عباراتِ التعديلِ والجرح، وما بين ذلك مِن العباراتِ المُتَجَاذَبَة ...».

فأين نحن مِن هذا الورع التامِّ ليس مجرَّد ورع بل لا بدَّ أن يكون تامًّا، وأين براءتُنا من الهوى والميل، وأين خِبرتُنا بما يكون سببًا للتجريح والطَّعن، وأين استعمالُنا للألفاظ العلمية، ونحن نسمع كلمات مِن أسوأ ما يَسمعها المسلم في إخوانه.

نسأل الله أن يهدينا جميعا سواء السبيل، والحمد لله ربِّ العالمين

كتبه: رضا بوشامة

يوم السبت 17 من جمادى الأولى 1439هـ الموافق: 3 فيفري 2018.